مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الوجود التركي في شمال العراق وآثاره الإقليمية واسعة النطاق

سلسلة دراسات مركز البيان للدراسات والتخطيط

شباط 2016

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد. مهمته الرئيسة، فضلاً عن قضايا أخرى، تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بشكل خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام. ويسعى إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2016

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

الوجود التركي في شمال العراق وآثاره الإقليمية واسعة النطاق

مقدمة وخلفية

في الثالث من كانون الأول عام 2015، نشرت القوات المسلحة التركية (TSK) فوجاً من 150 جندياً و25 دبابة في مدينة بعشيقة العراقية شمال الموصل في مهمة لتعزيز أفراد الجيش التركي الموجودين بالفعل هناك لتدريب قوات البيشمركة الكردية والحشد الوطني[1] وتهيئتهم لعملية تحرير الموصل من تنظيم الدولة الإسلامية داعش. تبع ذلك سلسلة من الاتهامات من قبل الحكومة العراقية بشأن مشروعية الوجود التركي في العراق، وطالبت الحكومة العراقية بانسحاب هذه القوات، مع نفي تركيا لارتكابها أيَّ خطأ ،مشيرة إلى الاتفاق مع السلطات المحلية الكردية الذي يسمح للقوات التركية بنشر قوات عسكرية هناك للتعزيز ضد داعش، بعد بضعة أيام من التوتر، انسحبت القوات والدبابات ولكن أفراد الجيش التركي الموجودين بالفعل بقوا، واستمروا في مهمة التدريب .[2]

كشفت الحادثة وردود الفعل الخلافات السياسية والاستراتيجية بين بغداد وأربيل وأنقرة على الرغم من أنهم يقاتلون ضد عدو مشترك متمثل بتنظيم الدولة الإسلامية، ومع ذلك لا يمثل نشر القوات ولا ردود الفعل التي تلت أي انحراف. إن دعم أربيل واستنكار بغداد لأنقرة، وشجب أنقرة للحشد الشعبي ودعمها للحشد الوطني يعكس كيفية تطور العلاقات بين أربيل وبغداد وأنقرة على مر السنين، وكذلك الأهداف التوسعية لأنقرة بشأن العراق وسوريا.

يهدف هذا التقرير إلى تحليل الأعمال التي تقوم بها الجهات الفاعلة الرئيسة الثلاث المعنية، الحكومة التركية، وحكومة إقليم كردستان في أربيل، والحكومة العراقية في بغداد، كما وينظر إلى كيفية تدهور علاقات أنقرة مع بغداد وكيف تحسنت مع أربيل على مدى السنوات الماضية، وينظر أيضاً إلى الأسباب الداخلية والخارجية التي هي وراء هذا التحالف، موضحاً كيف تشعر أنقرة بعدم إمكانية التأثير

1.»قوات التعبئة الوطنية» – ميليشيا تتكون في الغالب من العراقيين السنة في الموصل ومحافظة نينوى وقد شكلت هذه الميليشيا من قبل المحافظ السابق لنينوى أثيل النجيفي وتتلقى التدريب والدعم من تركيا التي تعتقد أنه يعتبر بديلا أفضل للحشد الشعبي فيما يخص استعادة السيطرة على المناطق السنية من العراق من الدولة الإسلامية.

2."Biden Welcomes Turkish Troops' Withdrawal from Iraq's Bashiqa Camp: White House", Daily Sabah, 14-December-2015, http://www.dailysabah.com/diplomacy/2015/12/14/biden-welcomes-turkish-troops-withdrawal-from-iraqs-bashiqa-camp-white-house , [Accessed 27-January-2016]

على بغداد لتكون في خط مصالحها في الوقت الذي تعد فيه الكتلة السنية العربية – الكردية شمال العراق أكثر ملاءمة لمصالحها، وهذا ما يفسر سعي تركيا لاستخدام هذه الكتلة لإنشاء منطقة عازلة ودية بينها وبين بغداد والحفاظ على حكومة إقليم كردستان إلى جانبها في الوقت الذي يتصاعد فيه الصراع بين حزب العمال الكردستاني وقوات الأمن التركية جنوب شرق تركيا، وينظر التقرير أيضاً إلى الكيفية التي يمكن أن تبحث فيها أنقرة عن تحقيق توازن وكلائها الإقليميين في المنطقة، حكومة إقليم كردستان والحشد الوطني، للاستفادة من النتيجة الإيجابية لنفسها، وخاصة في المنطقة المحيطة بكركوك التي تدعي تركيا أن لها مطالب تاريخية فيها. وأخيراً، ينظر التقرير إلى الأهداف الإقليمية التوسعية لتركيا فيما يتعلق بالحرب الأهلية السورية وتأثير العلاقة التركية مع حكومة إقليم كردستان وجهودها لإنشاء منطقة عازلة ودية في شمال العراق على اثر الصراع الدائر في سوريا.

الآثار المترتبة على التوغل التركي شمال العراق

- التأثيرات على العلاقات التركية مع بغداد

كان لنشر تركيا لقواتها شمال العراق تأثيراً كبيراً على العلاقات الفاترة بالفعل بين أنقرة وبغداد، على الرغم من أن الحكومتين عملتا على التقارب أعقاب الإطاحة بنظام صدام حسين في العام 2003 ، وقد أعطيت تركيا مكانة مواتية للتجارة والاستثمار، ونتج عن التدخل التركي المتكرر على الأراضي العراقية خلال السنوات الماضية (ظاهرياً لملاحقة حزب العمال الكردستاني (PKK)) وزيادة استخدام الخطاب الطائفي فيما يتعلق بالسنة والشيعة (في محاولات للتأثير على السياسة العراقية) والشراكة المتنامية مع الحكومة الإقليمية الكردية (حكومة إقليم كردستان) في الوقت الذي تصاعد التوتر فيه بين حكومة إقليم كردستان وبغداد،[3] وكذلك ازدواجية تركيا تجاه تنظيم الدولة الإسلامية بعد هجومها في عام 2014 ، والحسابات السياسية الخاطئة في أعقاب الربيع العربي إلى تصاعد التوتر بين أنقرة وبغداد ،[4] وبالتالي ينظر إلى نشر القوات العسكرية التركية في بعشيقة وردة فعل بغداد على ذلك بوصفه استمراراً لمسار العلاقات المتوترة القائمة حاليا بين البلدين.

إن كيفية نظر أنقرة إلى علاقاتها مع بغداد والسياسات التي تلت ذلك من قبل وبعد نشر

3. Denise Natali, "Is Turkey Losing Iraq?", Al-Monitor, 25-September-2012, < http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor/is-turkey-losing-iraq.html>, [Accessed 7-January-2016]

4. Semih İdiz, "Turkey Downplays IS Threat but Concerns Grow", Al-Monitor, 8-August-2014, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/08/idiz-isis-turkey-iraq-mosul-davutoglu-ambvalent-syria-consul.html , [Accessed 7-January-2016]

القوات في بعشيقة يمكن تفسيره من خلال ثلاثة افتراضات يبدو أن أنقرة تمتلكها تجاه بغداد: الأول هو أن بغداد تقبع تحت تأثير إيران ويرجع ذلك إلى الأغلبية الشيعية وتأثيرها في المدينة، وهذا ينطبق أيضاً على الجماعات غير النظامية مثل الحشد الشعبي الذي تتهمه أنقرة بأنه ''شيعي بالكامل ومتحكم به من قبل إيران''، بدون الإشارة إلى أن السنة والتركمان والمسيحيين جزء من الحشد الشعبي أيضاً ،[5] الافتراض الثاني هو بما أن تركيا وإيران على طرفي نقيض في الحرب الأهلية السورية، وتحالف إيران وسوريا الوثيق مع روسيا (التي تدهورت علاقاتها مع تركيا بسرعة عقب إطلاق النار على طائرة مقاتلة روسية من قبل تركيا في تشرين الثاني 2015)، فأنه من غير المرجح أن تكون بغداد حليفة يمكن الاعتماد عليها من قبل تركيا أو أن تكون عرضة لتأثير أنقرة [6]. إن حقيقة إعلان روسيا على الفور دعمها لبغداد ضد تركيا بعد نشر قوات الأخيرة [7] قرب الموصل عزز على الأرجح هذا الافتراض، الافتراض الثالث هو أن بغداد متهمة بتعزيز الطائفية من قبل أنقرة ولا تمتلك شرعية بين المواطنين العراقيين السنة الذين يخشون من تداعيات تحرير قوات الأمن العراقية (ISF) أو الحشد الشعبي لأبرز المدن السنية المحتلة من قبل داعش [8]. جنباً إلى جنب، مع مناصرة أنقرة للقضية السنية في العراق (مع التركيز على السنة وعدم التأكيد على الهويات العرقية مثل الأكراد والأتراك والعرب) [9] وامتلاك أهمية تاريخية مكتسبة في الموصل[10]، من المرجح أن تعد أنقرة نفسها المثل الإقليمي الأكثر شرعية لتحديد مصير الموصل.

ويناقش هذا التقرير أنه نتيجة لهذه الافتراضات وصلت أنقرة إلى نتيجة وهي أن بغداد ليست صديقة لمصالحها ولا تقبل بنفوذها، ولذلك قللت من أولويات علاقاتها مع بغداد لصالح جهات إقليمية أخرى

5. Fehim Taştekin, ''Ankara's Mosul Miscalculation'', Al-Monitor, 9-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/en/originals/2015/12/turkey-iraq-bashiqa-mosul-military-deployment.html , [Accessed 12-January-2016]

6. Metin Gürcan, ''Turkey Sticks Its Neck Out Again, This Time in Iraq'', Al-Monitor, 7-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/12/turkey-iraq-becomes-third-largest-army.html , [Accessed 12-January-2015]

7. Semih İdiz, ''Why is Turkey Stirring the Iraqi Cauldron'', Al-Monitor, 8-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/12/turkey-iraq-troops-deployed-in-bashiqa-stirs-cauldron.html , [Accessed 12-January-2016]

8.Salah Nasravi, ''The Fate of Mosul in Turkey's Hands'', Al-Jazeera English, 15-December-2015, http://www.aljazeera.com/news/2015/12/analysis-fate-mosul-turkey-hands-151213105749003.html , [Accessed 12-January-2016]

9.''Erdogan: Turkish Troops in Iraqon PM Abadi's Request'', Al-Jazeera English, 10-December-2015, http://www.aljazeera.com/news/2015/12/erdogan-turkish-troops-iraq-pm-abadi-request-151209215017789.html , [Accessed 12-January-2012]

10.Fehim Taştekin, ''Ankara's Mosul Miscalculation'', Al-Monitor, 9-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/en/originals/2015/12/turkey-iraq-bashiqa-mosul-military-deployment.html , [Accessed 12-January-2016]

أكثر فعالية وخاضعة لتأثيرها، ويشمل هذا حكومة إقليم كردستان وميليشيا الحشد الوطني في جميع أنحاء الموصل. على الرغم من أن أنقرة لا تبدو عازمة على استعداء بغداد مباشرة ، إلا أن منطق أنقرة يقول بأنها لا تستطيع الانسحاب من بعشيقة لأنها تحتاج لتدريب القوات في المنطقة ضد الدولة الإسلامية وهذا يوضح انه عندما تضطر للاختيار بين هذه الجهات وبغداد، فإنها لن تختار بغداد ،[11] في الواقع ان هذا التصرف ليس بجديد على تركيا التي أتبعت مثل هذه السياسة في الماضي، مثل دعمها لأطراف في القائمة العراقية أو قائمة الحدباء والمرشحين مثل أثيل النجيفي [12] في معارضة لرئيس الوزراء آنذاك نوري المالكي.[13]

وقد تكرر هذا من قبل السفير الأمريكي السابق لدى العراق كريستوفر هيل الذي أشار في عام 2009 إلى أن أنقرة ''لعبت دوراً غير مساعد في الانتخابات السياسية العراقية الأخيرة'' مع ميلها للتدخل في السياسة العراقية [14]. إن قرار أنقرة للتدخل في العراق وإضفاء الشرعية على تصرفاتها على أساس دعم حلفائها لم يكن غير مسبوق بل في خطى الإجراءات التركية السابقة.

إن كيفية تطور علاقات أنقرة مع بغداد من هذه النقطة فصاعداً صعب التحديد ويعتمد على عدد من العوامل الإقليمية الأخرى مثل علاقات تركيا مع إيران وروسيا وحكومة إقليم كردستان، ونتائج الحرب في سوريا والعراق ونجاح وكلائها في هذه البلدان، وكذلك شكل السياسة الداخلية لتركيا. على الرغم من استخدام أنقرة للغة طائفية على نحو متزايد في السنوات الأخيرة، وكثيراً ما كان الغرض من هذه اللغة هو الحاجة لضمان دعم حزب العدالة والتنمية الذي يتكون في الغالب من المسلمين المحافظين [15]. بينما تصاعد الانقطاع السياسي تجاه طهران عام 2015 [16]، إلا أن رد الفعل المتناقض تجاه إعدام رجل

11.“Turkey Refuses to Withdraw Troops Sent to North Iraq Base”, The Guardian, 7-December-2015, http://www.theguardian.com/world/2015/dec/07/turkey-refuses-to-withdraw-troops-from-north-iraq-base-isis , [Accessed 13-January-2016]

12 المحافظ السابق لنينوى

13.Semih İdiz, “How Turkey Lost its Influence in Iraq”, Al-Monitor, 6-June-2014, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2014/06/krg-iraq-turkey-kurdish-oil-us-barzani-energy.html , [Accessed 12-January-2016]

14.Michael R. Gordon, “Meddling Neighbours Undercut Iraq Stability”, The New York Times, 5-December-2010, http://www.nytimes.com/2010/12/06/world/middleeast/06wikileaks-iraq.html?pagewanted=all , [Accessed 13-January-2016]

15.Fehim Taştekin, “Turkey’s Sunni Identity Test”, Al-Monitor, 21-June-2013, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/06/turkey-sunnism-sectarian-rhetoric.html , [Accessed 13-January-2016]

16.Cengiz Çandar, “Erdogan Focuses on Trade During Iran Visit”, Al-Monitor, 8-April-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/04/turkey-iran-difference-between-speaking-ankara-tehran.html , [Accessed 13-January-2016]

الدين الشيعي نمر النمر من قبل المملكة العربية السعودية [17] يبين أن تركيا قادرة على تخفيف حدة اللغة الطائفية والتصرف بطريقة أكثر تصالحية عندما تتطلب البراغماتية ذلك .

- التأثيرات على العلاقات التركية مع حكومة إقليم كردستان

منذ آذار 2009، عندما زار الرئيس التركي حينها عبد الله غول بغداد وحكومة إقليم كردستان [18]، بدأت العلاقات بين أنقرة وأربيل بالتحسن وعلى الرغم من التاريخ العاصف من العداء بين الأتراك والأكراد في العراق وتركيا، جعل الاستقرار وموارد الطاقة الغنية من حكومة إقليم كردستان هدفاً للأعمال بالنسبة لتركيا، لذلك فمن المهم أن نلاحظ أنه حين طالبت بغداد تركيا ان تسحب قواتها التي انتشرت في معسكر بعشيقة، تحدثت اربيل عن دعم أنقرة، مشيرة إلى أن القوات التركية قد انتشرت بموافقة من حكومة إقليم كردستان والحزب الديمقراطي الكردستاني في إطار التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية .[19]

إن تحسن العلاقات بين إقليم كردستان وتركيا ودعم الاقليم لها خلال النزاع الذي نشب بعد نشر القوات التركية يمكن أن يكون مرتبطاً بالفوائد الاقتصادية والسياسية المتبادلة التي وفرها تحسين علاقاتها اقتصادياً تشكل حكومة إقليم كردستان مصدراً قريباً، ورخيصاً، وذي جودة عالية من الطاقة للاقتصاد التركي المتعطش للطاقة مع الحد في الوقت نفسه من اعتماد تركيا على إيران وروسيا للحصول على الطاقة التي أصبحت على نحو متزايد عائقاً في ضوء تدهور العلاقات التركية مع هذه البلدان في السنوات الأخيرة، إن كون تركيا ممراً لصادرات الطاقة الكردية إلى أوروبا والمكافآت الاقتصادية التي تتبع ذلك يوفر حافزاً إضافياً لتركيا للتقارب الاقتصادي مع حكومة إقليم كردستان ،[20] أما بالنسبة لحكومة إقليم كردستان، التي كانت حريصة على تسليط الضوء على استقرارها وازدهارها الاقتصادي في عراق ما بعد صدام، وفرت فرص الاستثمار في الأعمال التجارية والطاقة التركية مصدراً مستقلاً للدخل بشكل منفصل عن بغداد التي كانت معها نزاعات متكررة بشأن حصة الميزانية [21]، بالرغم من محاولة أنقرة التوسط في الخلاف الدائر بين بغداد وأربيل بشأن مبيعات النفط المستقلة من قبل حكومة إقليم كردستان في

17.Semih Idiz, "Saudi-Iranian Crisis Complicates Ankara's Regional Plans", Al-Monitor, 5-January-2016, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2016/01/turkey-saudi-arabia-iran-crisis-complicates-ankaras-plans.html , [Accessed 13-January-2016]

18 مما جعله أول رئيس وزراء تركي يزور العراق رسميا خلال 33 عاما

19."Iraqi Army SaysKRG Authorised Turkish Army Deployment", NRT, December 2015, http://www.nrttv.com/EN/Details.aspx?Jimare=4324 , [Accessed 13-January-2016]

20.Gönül Toy, "Turkey's KRG Energy Partnership", Foreign Policy Magazine, 29-January-2013, http://foreignpolicy.com/2013/01/29/turkeys-krg-energy-partnership/ , [Accessed 14-January-2016]

21.Keith Johnson, "Striking Pipeline, Kurdish Militants Deal a Blow to Fellow Turks", Foreign Policy Magazine, 30-July-2015, http://foreignpolicy.com/2015/07/30/kurdish-militants-strike-pipeline-deal-blow-to-fellow-kurds/ , [Accessed 14-January-2016]

بداية سنوات التقارب، وكانت حذرة ضد معاداة بغداد، مشكّلة بذلك علاقة قوية مع أربيل ومتدهورة مع بغداد ،[22] كما ولعبت تركيا دوراً متزايداً في مبيعات حكومة إقليم كردستان للنفط بشكل مستقل من خلال خط أنابيب جيهان الذي تم الانتهاء منه عام 2014. إن السقوط السريع لأسعار النفط أدى إلى قيام بغداد بحجب حصة إقليم كردستان من ميزانيتها بسبب المنازعات المتعلقة ببيع الأخير للنفط بشكل مستقل. كما وأدى ذلك إلى انخفاض الاستثمارات، وزيادة الإنفاق العسكري نتيجة لهجوم تنظيم الدولة الإسلامية عام 2014 [23]، الذي وضع ضغوطاً اقتصادية ثقيلة على حكومة إقليم كردستان وتأخير المدفوعات للعاملين في القطاع العام والتسبب في عجز في الميزانية، قدمت تركيا من جانبها قروضاً لحكومة إقليم كردستان لدعم العجز في ميزانيتها الذي يقدر ب 6 مليارات دولار ، مما سبب بقاء حكومة اقليم كردستان اقتصادياً مرتبطاً بالمصالح التركية [24].

لم يُصحب هذا التقارب بين تركيا وحكومة إقليم كردستان بفوائد اقتصادية فقط ولكن بفوائد سياسية أيضاً، ومحققاً كطموحات داخلية وخارجية على حد سواء، فبالنسبة لتركيا، فإن علاقاتها الاقتصادية مع حكومة إقليم كردستان منحت تركيا نفوذاً كبيراً على حساب هذه الأخيرة. في السياسة التركية كان أحد الوعود الرئيسة لحزب العدالة والتنمية الحاكم هو تقديم حل ''للمسألة الكردية'' التي تسببت بتوترات وأعمال عنف متفرقة في جنوب شرق البلاد لعقود، تحقيقا لهذه الغاية، بدأت الحكومة التركية مفاوضات مع حزب العمال الكردستاني بعد أن أعلن هذا الأخير وقف إطلاق النار في شهر آذار 2013 وبدأت بسحب قواتها من معاقلهم الجبلية، وبالتزامن مع ذلك استخدم حزب العدالة والتنمية برنامجاً تصالحياً لجذب الناخبين الأكراد على حساب حزب العمل القومي وحزب الشعب الجمهوري وكلاهما حزبان تقليديان وجعلهم اكثر تردداً في منح الأقلية الكردية لمطالبها في الوقت نفسه يجعلون الخيار المسلح أقل جذباً للجماعات السياسية الكردية ،[25] عملت الشراكة بين تركيا وحكومة إقليم كردستان في هذه المعادلة على إظهار أن أنقرة لا تعمل ضد المصالح الاقتصادية [26] أو السياسية الكردية، وفي الوقت نفسه تضغط على حكومة إقليم كردستان لعزل حزب العمال الكردستاني الذي يحصل عادة على الدعم

22.“Turkey: Keeping Iraq’s Kurds in Check”, Stratfor, 23-March-2009, https://www.stratfor.com/analysis/turkey-keeping-iraqs-kurds-check , [Accessed 14-January-2016]

23.“Iraqi Kurdistan’s Financial Trap”, Stratfor, 21-July-2014, https://www.stratfor.com/analysis/iraqi-kurdistans-financial-trap , [Accessed 14-January-2016]

24.Ibid

25.Ceren Kenar, “Erdogan’s Kurdish Chickens Are Coming Home to Roost”, Foreign Policy Magazine, 4-June-2015,< http://foreignpolicy.com/2015/06/04/erdogan-turkey-elections-kurds-akp-hdp-executive-power/> , [Accessed 19-January-2016]

26.Chase Winter, “Turkey’s Strained Kurdish Peace Process”, Foreign Policy Magazine, 11-December-2013,http://foreignpolicy.com/2013/12/11/turkeys-strained-kurdish-peace-process/ , [Accessed 16-January-2016]

والملاذ من حكومة إقليم كردستان[27]. إن الدافع وراء تعاون أنقرة مع حكومة إقليم كردستان يرجع إلى سياساتها الإقليمية، لا سيما فيما يخص سوريا والعراق، في سوريا برز (حزب الاتحاد الديمقراطي) PYD التابع لحزب العمال الكردستاني بوصفه واحداً من أكثر الممثلين نجاحاً في الحرب الأهلية، منشئا ومعززاً منطقة حكم ذاتي شمال سوريا على طول الحدود التركية بموافقة ضمنية من الحكومة السورية وحلفائها الروس والإيرانيين، مصحوباً بالقلق من قبل أنقرة التي شهدت فقدان الجماعات المتمردة التي تدعمها في سوريا للأرض والنفوذ. وسط هذه المخاوف، قامت قيادة حكومة إقليم كردستان– التي حظرت الأحزاب السياسية المؤيدة للحزب العمال الكردستاني– بالقبض على سياسي حزب العمال الكردستاني، وأغلقوا مكاتب حزب العمال الكردستاني، وهذا لا يقدر بثمن لاستراتيجية مكافحة الإرهاب لأنقرة ضد حزب العمال الكردستاني[28]. فضلًا عن ذلك، ونظراً لتدهور علاقة أنقرة مع بغداد، قامت أربيل على الأرجح بتقديم نفسها على أنها واحدة من المصادر الرئيسة للنفوذ في العراق، وليس فقط توفير منطقة عازلة بينها وبين بغداد ولكن أيضاً بوصفها مصدراً للتأثير الإيجابي في الصراع الذي يدور ضد تنظيم الدولة الإسلامية[29].

لعبت الفوائد الاقتصادية للتجارة التركية دوراً هاماً في نمو حكومة إقليم كردستان وتطورها حتى قبل زيارة عبد الله غول عام 2009، مما يسمح لكردستان العراق لتظهر وكأنها واحدة من المناطق الأكثر استقراراً وازدهاراً في العراق بعد الإطاحة بصدام حسين مدركين أن الحماية الممنوحة لهم من قبل قوات التحالف لن تكون دائمة، عملت حكومة إقليم كردستان بشكل كبير نحو ترجمة المكاسب الاقتصادية إلى مكاسب سياسية من أجل ترسيخ استقلاليتها والعمل نحو هدفهم في تحقيق الاستقلال، في مثل هذا المناخ أسفرت الخلافات المتكررة لأربيل مع بغداد بشأن مبيعات النفط وطبيعة الاستقلال الكردي مع كون أنقرة شريكاً اقتصادياً وسياسياً ملائماً لحصول الإقليم إلى نفوذ فعال ضد بغداد [30]، ومع ذلك فإن دوافع اربيل للشراكة مع أنقرة تعتمد على عنصر داخلي حاسم أيضاً، على الرغم من أن حكومة إقليم كردستان تتكون من اتحاد حزبين سياسيين كرديين رئيسين، الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، إلا أنهما كانا منافسين تاريخيين وقد انخرطا في صراع مسلح ضد بعضها البعض خلال التسعينيات. في السنوات الأخيرة تآكلت قاعدة الدعم للاتحاد الوطني الكردستاني، ويسعى رئيس حكومة

27."Turkey's Kurdish Strategy", Stratfor, 17-September-2010, https://www.stratfor.com/analysis/turkeys-kurdish-strategy , [Accessed 19-January-2016]

28.Gönül Toy, "Turkey's KRG Energy Partnership", Foreign Policy Magazine, 29-January-2013, http://foreignpolicy.com/2013/01/29/turkeys-krg-energy-partnership/,[Accessed 14-January-2016]

29.Ibid.

30."The Kurdish Alliance at Risk", Stratfor, 16-August-2012, https://www.stratfor.com/analysis/kurdish-alliance-risk , [Accessed 20-January-2016]

إقليم كردستان مسعود بارزاني للاستفادة من هذا عن طريق تعزيز علاقته مع أنقرة، متحولاً بذلك إلى السياسي المفضل لتركيا للتعامل معه في المنطقة، واستخدام التدفق المالي لتوسيع نفوذه الخاص والداعمين له ،[31] وبحسب ما ورد على مدار عام 2012 نُقلت العديد من المؤسسات الحكومية التي مقرها في السليمانية (معقل الاتحاد الوطني الكردستاني) إلى أربيل (معقل الحزب الديمقراطي الكردستاني) [32]، إن تمديد بارزاني لولايته لمدة عامين عام 2013 (بعد أن كان رئيساً منذ عام 2005) ورفضه التنحي منذ انتهاء مدة ولايته في أب 2015، على الرغم من الاحتجاجات والاتهامات بالفساد، فقد عزز هذا الانطباع بين خصومه[33].

وبالتالي فإن انتشار القوات التركية في بعشيقة ليس للعبة تبديل وإنما هو مؤشر لاتجاه علاقات تركيا مع الحكومات الإقليمية، إن رد فعل بغداد السلبي مشابه لتدهور علاقاتها مع أنقرة على مدى السنوات الماضية، كما وإن رد فعل حكومة إقليم كردستان الداعم هو انعكاس لمدى تطور شراكة الإقليم مع تركيا، مع تزايد عداء كل من أنقرة وأربيل ضد بغداد، وتزايد عزلتها إلى حد ما في المنطقة، يخلص هذا التقرير إلى أن العلاقات التركية مع حكومة إقليم كردستان سوف تتعمق على مدى المستقبل القريب، مستفيدين بذلك من المنفعة المتبادلة على أسس اقتصادية وسياسية واستراتيجية، ومما يؤيد ذلك هو زيارة مسعود بارزاني لتركيا واستقباله بحرارة في ذروة توتر علاقة أنقرة مع بغداد ،[34] واستمرار تصدير حكومة إقليم كردستان للنفط بشكل مستقل خلال الفترة نفسها [35]، وعلاوة على ذلك فإن حقيقة وقوف حكومة إقليم كردستان (مؤقتاً) مع تركيا بشأن الصراع المتجدد ضد حزب العمال الكردستاني، على الرغم من المعارضة الداخلية الثقيلة، يشير أيضاً إلى تعميق العلاقات بين البلدين [36].

31.Ibid.

32.Ibid.

33.Mohammed A Salih, "Political Turmoil Grips Iraqi Kurdistan", Al-Jazeera English, 13-October-2015, http://www.aljazeera.com/news/2015/10/iraqi-kurds-deteriorating-quickly-151013080729534.html , [Accessed 20-January-2016]

34."Barzani Gets Warm Welcome in Ankara amid Turkey-Iraq Tensions", Hurriyet Daily News, 9-December-2015, http://www.hurriyetdailynews.com/barzani-gets-warm-welcome-in-ankara-amid-turkey-iraq-tensions-.aspx?pageID=238&nID=92319&NewsCatID=510 , [Accessed 20-January-2016]

35."Iraq: Kurdish Government Will Cut off Oil To Baghdad", Stratfor, 5-January-2016, https://www.stratfor.com/situation-report/iraq-kurdish-government-will-cut-oil-baghdad?utm_source=paidlist-a&utm_medium=email&utm_campaign=*|DATE:|*&utm_content=Daily+Intelligence+Brief%3A+Jan.+6%2C+2015 , [Accessed 21-January-2016]

36.Keith Johnson, "Striking Pipeline, Kurdish Militants Deal Blow to Fellow Kurds", 30-July-2015, http://foreignpolicy.com/2015/07/30/kurdish-militants-strike-pipeline-deal-blow-to-fellow-kurds/ , [Accessed 20-January-2016]

انتشار القوات التركية وتأثيرها على حدودها الجيوسياسية وانعكاساتها

- تحليل الوجود التركي في شمال العراق كمنطقة عازلة

في ضوء تزايد قوة علاقة أنقرة مع أربيل وتدهور العلاقات مع بغداد، فإن نشر القوات التركية في بعشيقة ليس انحرافاً ولكن تماشياً مع الأهداف الاستراتيجية والجيوسياسية لأنقرة في العراق، منذ عام 2003 كانت السياسة التركية في العراق هي لبناء علاقات اقتصادية وسياسية مع بغداد، وبناء علاقة مع حكومة من شأنها أن تكون ودية لمصالحها، وتعمل على طمأنة مخاوفها المتعلقة بحكومة إقليم كردستان والمناطق المطالب بها تاريخيا مثل كركوك والموصل، مع تواجد منافسة من قبل إيران على النفوذ (وخصوصاً بعد تدهور العلاقات التركية–الإيرانية التي تلت الحرب الأهلية السورية)، وتحول لهجة أنقرة إلى طائفية بشكل متزايد مؤكدة بذلك على الهوية السنية في السياسة [37] حتى في الوقت نفسه تتهم إيران بإثارة الطائفية الشيعية [38]. كان لفشل الكتل الانتخابية السنية العراقية والكردية في الانتخابات دور في إظهار تآكل المرشحين المفضلين لتركيا، كالقائمة العراقية وأثيل النجيفي، وهذا قلل من تأثير أنقرة على بغداد [39].

ويمكن أن نخلص إلى أن استراتيجية أنقرة تجاه العراق لم تتغير في جوهرها، ومع ذلك مع تقلص نفوذها في بغداد، ركزت تركيا جهودها على دعم المنظمات والسياسيين الذين لا يزال لديهم نفوذ على حكومة إقليم كردستان من قبل الرئيس مسعود بارزاني والحشد الوطني من قبل أثيل النجيفي، ومن خلال هذه المنظمات، تتطلع تركيا إلى إقامة منطقة داخل العراق من شأنها أن تكون أكثر وداً تجاه المصالح التركية وتواصل تزويد تركيا بالنفط وتمكنها من العمل في حين تعمل كمنطقة عازلة بين حدودها وبغداد.

إن نشر القوات التركية في بعشيقة يتماشى مع هذه الاستراتيجية، منذ سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية في الموصل عام 2014، ألقت أنقرة وأربيل والنجيفي باللوم على سياسات بغداد [40] لسقوط المدينة، وعلاوة على ذلك عبّرت أنقرة مراراً عن معارضتها لتحرير الحشد الشعبي للمدينة، مدعية بأنها

37.Denise Natali, "Is Turkey Losing Iraq?", Al-Monitor, 25-September-2012, < http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor/is-turkey-losing-iraq.html> , [Accessed 26-January-2016]

38.Semih İdiz, "Why is Turkey Stirring the Iraqi Cauldron", Al-Monitor, 8-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/12/turkey-iraq-troops-deployed-in-bashiqa-stirs-cauldron.html , [Accessed 26-January-2016]

39.Denise Natali, "Is Turkey Losing Iraq?", Al-Monitor, 25-September-2012, < http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2012/al-monitor/is-turkey-losing-iraq.html> , [Accessed 26-January-2016]

40.Mohammed A. Salih, "More Than a Year On, Who Is to Blame For The Fall of Mosul", Al-Monitor, 25-August-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2015/08/iraq-report-mosul-fall-maliki-abadi.html , [Accessed 26-January-2016]

«شيعية بالكامل وتتبع أوامر إيران»، وبالتالي لا تمتلك شرعية على مواطني الموصل، وبدلاً من ذلك فإنها تدعو الحشد الوطني بالقوة المشروعة لتحرير المدينة ،[41] من خلال تدريب الحشد الوطني والبيشمركة في معسكر في بعشيقة، تسعى تركيا ليس إلى إضفاء الشرعية على وجودها الخاص في العراق كجزء من التحالف المناهض لداعش فقط، بل أنها تزيد من قدرات هذه المنظمات التي تمتلك نية تحرير الموصل تحت ظل حكومة صديقة لتركيا [42]، مع تواجد مُركز رئيس في المناطق الحضرية شمال العراق (احد المطالب التركية التاريخية)، فإن تركيا والفصائل المدعومة يجدون أنفسهم في وضع أقوى بكثير للمطالبة بالحكم الذاتي الفعلي والانفصال عن بغداد.

- تحقيق التوازن بين الفصائل داخل شمال العراق ووضع كركوك

من الممكن أن ترى أنقرة الحشد الوطني كمصدر بديل للتأثير في حالة عدم إمكانية الاعتماد على حكومة إقليم كردستان، كما هو مفصل أعلاه فإن العلاقات بين تركيا وحكومة إقليم كردستان قد تحسنت كثيراً منذ عام 2009 ، وكان لحكومة إقليم كردستان دور فعال في عزل دعم حزب العمال الكردستاني في العراق، حتى مع تزايد الاشتباكات بين حزب العمال الكردستاني وقوات الأمن التركية جنوب شرق تركيا [43]. ومع ذلك يواجه الرئيس بارزاني معارضة شديدة بسبب تأييده لأنقرة على حساب حزب العمال الكردستاني[44] وادعاءات الفساد ضده ورفضه للتنحي عن الرئاسة على الرغم من انتهاء مدة ولايته [45] . لا يعاني أثيل النجيفي، الذي كان أيضاً حليفاً وثيقاً لتركيا في العراق على مر السنين، من هذه القيود في الوقت الراهن، لذلك في حال إنشاء منطقة عازلة صديقة لتركيا، سيكون الحشد الوطني، المدرب من قبل القوات التركية في بعشيقة، قادراً على القيام بدور كوكيل لأنقرة حتى لو ساءت العلاقات التركية مع حكومة إقليم كردستان، كما ويمكن لهذه القوة أن تتعامل مع حزب العمال الكردستاني على

41.Fehim Taştekin, "Ankara's Mosul Miscalculation", Al-Monitor, 9-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/en/originals/2015/12/turkey-iraq-bashiqa-mosul-military-deployment.html , [Accessed 26-January-2016]

42.Fehim Taştekin, "Turkey's Joint Front With Sunni Arabs, Kurds", Al-Monitor, 14-December-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/en/originals/2015/12/turkey-iraq-ankaras-joint-front-with-sunni-arabs-kurds.html , [Accessed 26-January-2016]

43."Cumhurbaşkanı Erdoğan, IKBY Başkanı Barzani'yi Kabul Etti", Haber Turk, 9-December-2015, http://www.haberturk.com/gundem/haber/1164812-cumhurbaskani-erdogan-ikby-baskani-barzaniyi-kabul-etti , [Accessed 26-January 2016]

44 Josh Wood, "Why Turkey-KRG Ties Will Likely Trump Kurdish Solidarity", The National, 27-July-2015, http://www.thenational.ae/world/middle-east/why-turkey-krg-ties-will-likely-trump-kurdish-solidarity#full , [Accessed 26-January-2016

45.Tanya Goudsuzian, "Analysis: The Machiavellian Politics in Iraqi Kurdistan", Al-Jazeera English, 13-October-2015, http://www.aljazeera.com/news/2015/10/analysis-machiavellian-politics-iraqi-kurdistan-151013094035698.html , [Accessed 26-January-2016]

المستوى الذي سيجعل حكومة إقليم كردستان غير قادرة على الرد بدون المخاطرة برد فعل سياسي، إن وجود مثل هذه القوة ليس ببعيد المنال، بالنظر إلى وجود تقارير عن قيام قوات شبه عسكرية ناطقة باللغة العربية بمواجهة حزب العمال الكردستاني جنوب شرق تركيا [46].

إن مثل هذا الفعل المتوازن له فوائد أخرى لأنقرة أيضاً، كانت أوضاع الموصل وكركوك مصدراً للخلاف التاريخي لتركيا، وكانت المدن والمناطق المحيطة بها (الممتدة من سنجار في الغرب إلى السليمانية في الشرق) جزءاً من ولاية الموصل أيام الإمبراطورية العثمانية وتوجد نسبة عالية من السكان التركمان فيها، وقدمت تركيا عرضا لهم بأن يكونوا جزءاً من الحدود الأصلية بعد تأسيسها لكنهم لم يوافقوا [47]. في حزيران 2014 سيطرت القوات الكردية على المدينة بعد انسحاب الجيش العراقي ضد هجوم تنظيم الدولة الإسلامية، على الرغم من أن تركيا يمكن ان تكون غير راغبة تاريخياً في السماح للأكراد بالسيطرة على المدينة، إلا أن الانتهاء من خط أنابيب النفط كركوك – جيهان واستمرار تدفق النفط يشير إلى أن أنقرة يمكن أن تتسامح مع حكم الأكراد للمدينة طالما أن مصالحها لم تنتهك [48]، ومع ذلك فإن مستقبل المدينة لا يزال غير مؤكد، إذ أن التوترات بين السكان الأكراد والعرب والأتراك تتصاعد، والمدينة مصدر للخلاف بين أربيل وبغداد [49]، وفي ظل هذه الظروف، يمكن لأنقرة أن تقدم الحشد الوطني (أو منظمة مماثلة مقرها في كركوك) كخيار أكثر قبولاً لسكان المدينة في محاولة لقمع الاضطرابات ومنع الهيمنة الكردية على المدينة بينما تحرس كركوك ضد مطالب بغداد في الوقت نفسه، وهذا من شأنه أن يكون ضمن المسار العثماني الجديد لنفوذ أنقرة التي تشير التكهنات إلى أنه سيتم السعي له في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية [50].

- المخاوف الجيوستراتيجية الكبرى لشمال العراق وتركيا في المنطقة

إن رغبة أنقرة في الحفاظ على منطقة عازلة صديقة شمال العراق من المرجح أن ترتبط أيضاً باستراتيجية

46.Orhan Kemal Cengiz, "Who Are 'Allah's Lions'?", Al-Monitor, 25-November-2015, http://www.al-monitor.com/pulse/en/originals/2015/11/turkey-pkk-clashes-who-are-terrorizing-kurds.html , [Accessed 27-January-2016]

47.Reva Bhalla, "Turkey, Kurds and Iraq: The Prize and Peril of Kirkuk", Stratfor, 7-October-2014, https://www.stratfor.com/weekly/turkey-kurds-and-iraq-prize-and-peril-kirkuk,[Accessed 26-January-2016]

48."Iraq: Kurdish Oil Still Flowing to Ceyhan, Industry Source Says", Stratfor, 6-November-2015, https://www.stratfor.com/situation-report/iraq-kurdish-oil-still-flowing-ceyhan-industry-source-says , [Accessed 27-January-2016]

Reva Bhalla, "Turkey, Kurds and Iraq: The Prize and Peril of Kirkuk", Stratfor, 7-October-2014,.49 https://www.stratfor.com/weekly/turkey-kurds-and-iraq-prize-and-peril-kirkuk , [Accessed [26-January-2016

50.Kadri Gürsel, "Turkey Seeks Ottoman Sphere of Influence", Al-Monitor, 3-April-2013, http://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/04/turkey-normalization-israel-kurds-new-ottoman.html , Accessed 26-January-2016

أكبر في المنطقة خاصة فيما يتعلق بالحرب الأهلية السورية، منذ بداية الحرب نجح حزب الاتحاد الديمقراطي ذو الغالبية الكردية بإنشاء منطقة حكم ذاتي في شمال سوريا (كردستان السورية)، في الوقت الذي يتبع فيه حزب الاتحاد الديمقراطي لحزب العمال الكردستاني، إلا أنه ينظر إليه بعين الريبة من قبل تركيا والجماعات المتمردة المدعومة من قبل تركيا في سوريا الذين لم يقاتلوا ضد الحكومة السورية فقط، ولكنهم اشتبكوا مع قوات حزب الاتحاد الديمقراطي كذلك [51]، ومع ذلك على الرغم من الدعم التركي النشط لهذه المجموعات واتهام تركيا بدعم تنظيم الدولة الإسلامية بشكل ضمني، تمكن حزب الاتحاد الديمقراطي كسب العديد من الأراضي على طول الحدود السورية التركية، ويحتمل أن يعقد هذا جهود أنقرة في قمع مقاتلي حزب العمال الكردستاني داخل حدودها [52]. من أجل منع قيام إقليم كردستان موحد الذي يمتد عبر سوريا والعراق ويغطي حدودها الجنوبية بأكمله، تحتاج أنقرة إلى استعادة نفوذها في شمال العراق، وأن تتأكد من أن حكومة إقليم كردستان المعارضة لحزب العمال الكردستاني تتماشى مع مصالحها، وبالتالي فإن التقارب التركي–الكردي والدعم الاقتصادي والسياسي الذي تقدمه أنقرة لأربيل لا يخدم تحقيق التوازن ضد بغداد فقط ولكن أيضاً يحفز حكومة إقليم كردستان لاختيار الرعاية التركية ضد إقليم كردستان موحدة على حساب مواجهة تركيا معادية.

الخلاصة

سعى هذا التقرير لشرح كيفية انتشار القوات التركية في بعشيقة هو نتيجة لتغير علاقات أنقرة مع بغداد وأربيل، وقد بين هذا أن أنقرة في الوقت الحاضر أكثر اهتماماً بما هو قريب من حدودها وضمان أن لديها مساحة كافية للعمل ضد التهديدات الفعلية والمتوقعة التي تحيط بتركيا، وقد اختارت أنقرة التي وجدت نفسها أنها غير قادرة على التأثير على بغداد، وتمتلك مصلحة في نتائج الصراع في الموصل التي تحتاج إلى شركاء موثوق بهم في المنطقة، أن تركز جهودها على حكومة إقليم كردستان (التي تشغل أيضاً منصباً لتقسيم الولاءات للفصائل الكردية في العراق وسوريا) والحشد الوطني (الذي يتزعمه أثيل النجيفي وهو حليف سياسي)، لتحقيق التوازن ضد بغداد والتوازن ضد بعضهم البعض الى حين التأكد من أن الوضع في العراق لا يزال يخدم مصالحها حتى وإن قلل الوضع في سوريا من مصالحها.

51.Aaron Stein, "Turkey's Evolving Syria Strategy", Foreign Affairs Magazine, 9-February-2015, https://www.foreignaffairs.com/articles/turkey/2015-02-09/turkeys-evolving-syria-strategy , [Accessed 27-January-2016]

52.Aaron Stein, "PKKistan: Brought to You By American Close Air Support", War on the Rocks, 22-June-2015, http://warontherocks.com/2015/06/pkkistan-brought-to-you-by-american-close-air-support/ , [Accessed 27-January-2016]

إن الانتشار التركي في بعشيقة ليس توقفاً في حد ذاته لمبادرة الهيمنة حتى مع انسحاب الغالبية العظمى لقواتها وانخفاض كمية الحديث عن هذه الحادثة في وسائل الإعلام، فإن النشر في حد ذاته ليس مهماً، إن المهم هي الأحداث التي أدت إليها وآثار ذلك على المستقبل. ركزت آثار ردود الفعل المتباينة لانتشار القوات التركية من قبل حكومة إقليم كردستان والحكومة العراقية على وجود مصدر لتوترات محتملة حتى على الصراع الذي سيقرر مستقبل العراق وحكومة إقليم كردستان، فإن نتيجة الموصل ومن الذي سيحررها سيكون عاملًا حاسماً في الأشهر المقبلة.